# أبو الحسن الأشعري

بقلم: الشيخ حماد بن محمد الانصاري
المدرس في كلية الشريعة بالجامعة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : لما كان أكثر الناس في الأقطار الإسلامية ينتسب عقيدة إلى أبي الحسن الأشعري ، ومع ذلك لا يعرف شيئاً عن أبي الحسن الأشعري ، ولا عن عقيدته التي استقر عليها أمره أخيراً واستحق بها أن يكون من الأئمة المقتدى بهم ، أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائق هذا الامام المجهول عند كثير ممن ينتسب إليه وينتحل عقيدته ، حسب ما تتبعنا من المراجع المعتـــبرة .

وقبل كل شيء نتحف القارىء بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري فأقول وبالله أستعين :

**التعريف بالإمـــام :**

هو علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، ولد سنة ستين ومئتين من الهجرة النبوية ، ترجمه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي في كتابه « تبيين



Made With Pdf Office

كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري » والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » وابن خلكان في وفيات الأعيان والذهبي في « تاريخ الإسلام » وابن كثير في « البداية والنهاية » و « طبقات الشافعية » والتاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » وابن فرحون المالكي في « الديباج المذهب في أعيان أهل المذهب » ومرتضى الزبيدي في « اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين » وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب في أعيان من ذهب » وغيرهم .

دخل هذا الامام بغداد وأخذ الحديث عن الحافظ زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه (١) وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سرح ومحمد ابن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف البصريين ، وروى عنهم كثيراً في تفسيره « المختزن » وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة .

ولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك .

فحكي عنه أنه قال : وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر ، فقالى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليك بسنتي » فانتبهت ! ! وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار ، فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً .

قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ ه في الجزء الحادي عشر من تاريخه المشهور صفحة ٣٤٦ « أبو الحسن

---

(١) وأحد تلامذة الامام احمد بن حنبل وعنه اخذ تحرير مقالة اهل الحديث والسلف كما في التذكرة للذهبى ج٢ ص ٧٠٩ .



Made With Pdf Office

الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة ، والجهمية ، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة .

إلى أن قال : وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم .

قال ابن فرحون في الديباج : « أثنى على أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره من أئمة المسلمين » اهـ .

وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات الجزء الثاني صفحة ٣٠٣ :

ومما بيض به أبو الحسن الأشعري وجوه أهل السنة النبوية وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية ، فأبان به وجه الحق الأبلج ، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج ، مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مراء وهي أعني المناظرة كما قال ابن خلكان : « سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة أخوة ، كان أحدهم مؤمناً براً تقياً والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة ، فقال الأشعري : ان أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له ؟

فقال الجبائي : لا !! لأنه يقال له : أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات ، فقال الأشعري فإن قال : ذلك التقصير ليس مني ، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة ، فقال الجبائي : يقول الباريء جل وعلا : كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك ، فقال الأشعري : فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي ، فلمَ راعيت مصلحته دوني فانقطع الجبائي !!

وقال ابن العماد « وفي هذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خص من شا برحمته واختص آخر بعذابه » اهـ .



Made With Pdf Office

وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد رحمه الله واحدة لا شك في ذلك ولا ارتياب وبه صرح الأشعري في تصانيفه وذكره غير ما مرة من أن عقيدتي هي عقيدة الامام المبجل أحمد بن حنبل ، هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه » اهـ .

وفضائل أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن حصرها في هذه العجالة ، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال رأى أن الله تعالى قد أمده بمواد توفيقه ، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه .

وقد تنازع فيه أهل المذاهب ، فالمالكي يدعي أنه مالكي ، والشافعي يزعم أنه شافعي . والحنفي كذلك . قال ابن عساكر : لقيت الشيخ الفاضل رافعاً الحمال الفقيه ، فذكر لي عن شيوخه ان أبا الحسن الأشعري كان مالكياً فنسب من تعلق اليوم بمذهب أهل السنة وتفقه في معرفة أصول الدين من سائر المذاهب إلى الأشعري لكثرة تواليفه وكثرة قراءة الناس لها .

قال ابن فورك : توفي أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤ هـ اهـ .

وبعد ذكر هذه النتفة من ترجمة هذا الامام نذكر فيما يلي اثبات رجوعه عن الاعتزال واثبات نسبه ( الابانة ) اليه ننقل ذلك من المراجع الموثوق بها ، فنقول وبالله التوفيق .

## رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى عقيدة السلف :

قال الحافظ مؤرخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفي سنة ٥٧١ هـ في كتابه « التبيين » :

قال أبو بكر اسماعيل بن أبي محمد بن اسحق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة : ان أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً وانه أقام على مذهب الاعتزال



Made With Pdf Office

أربعين سنة ، وكان لهم اماماً ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة فصعد المنبر بعد صلاة الجمعة ، وقال : معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافئت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده ، كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس ، فمنها كتاب اللمع وغيره من تواليفه الآتي ذكر بعضها قريباً إن شاء الله : فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه اماماً حتى نسب مذهبهم إليه فصار عند المعتزلة ككتابيٍّ أسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمه .

وكذلك أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة ، فهم يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل وليس طول مقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة ، مما يفضي به إلى انحطاط المنزلة ، بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة ويدل عند ذوي البصائر له على سمو المنقبة ، لأن من رجع عن مذهب كان بعواره أخبر وعلى رد شبه أهله وكشف تمويهاتهم أقدر ، وبتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصر ، فاستراحة من يعيره بذلك كاستراحة مناظر هرون بن موسى الأعور .

وقصته أن هارون الأعور كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وحفظ القرآن وضبطه وحفظ النحو ، وناظره إنسان يوماً في مسألة فغلبه هارون فلم يدرِ المغلوب ما يصنع فقال له : أنت كنت يهودياً فأسلمت فقال له هارون فبئس ما صنعت فغلبه هارون في هذا . واتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة ، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة — سيفاً مسلولاً ومن طعن فيه أو سبه فقد بسط لسان السوء



Made With Pdf Office

في جميع أهل السنة ، ولم يكن أبو الحسن الأشعري أول متكلم بلسان أهل السنة وإنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف ، فزاده حجة وبياناً ، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به وليس له في المذهب أكثر من بسطه وشرحه كغيره من الأئمة .

وقال أبو بكر بن فورك : رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة ٣٠٠ هـ .

وممن قال من العلماء برجوع الأشعري عن الاعتزال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان الشافعي المتوفي سنة ٦٨١ هـ قال في « وفيات الأعيان » الجزء الثاني صفحة ٤٤٦ : كان أبو الحسن الأشعري معتزلياً ثم تـــاب .

ومنهم عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ .

قال في البداية والنهاية الجزء الحادي عشر صفحة ١٨٧ : « إن الأشعري كان معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم » .

ومنهم شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي الشهير بالذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ قال في كتابه « العلو للعلي الغفار » .

كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن أبي علي الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكلماً للسنة ، ووافق أئمة الحديث ، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها – لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله » .

وممن قال برجوعه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي الشافعي المتوفي سنة ٧٧١ هـ قال في طبقات الشافعية الكبرى ، الجزء الثاني صفحة ٢٤٦ : أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً فلما



Made With Pdf Office

أراده الله لنصرة دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته ، وذكر كلام ابن عساكر المتقدم بحروفه .

ومنهم برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي المتوفي سنة ٧٩٩ هـ قال في كتابه « الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » صفحة ١٩٣ : كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً ، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق ، ومذهب أهل السنة فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي ﷺ في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره ، فكان ذلك والحمد لله تعالى .

ومنهم السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الحنفي المتوفي سنة ١١٤٥ هـ قال في كتابه « اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين » الجزء الثاني صفحة ٣ . قال : أبو الحسن الأشعري أخذ علم الكلام عن الشيخ أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة . ثم فارقه لمنام رآه ، ورجع عن الاعتزال ، وأظهر ذلك إظهاراً . فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني ، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن ، وان الله لا يرى بالدار الآخرة بالأبصار وان العباد يخلقون أفعالهم .

وها أنا تائب من الاعتزال معتقداً الرد على المعتزلة ، ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم .

ثم قال : قال ابن كثير : ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال :

أولها حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة .

والحال الثاني اثبات الصفات العقلية السبعة ، وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك (١) .

---

(١) وفى هذا الطور سلك طريقة ابن كلاب أبى محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب البصرى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ راجع كتاب العقل والنقل لابن تيمية ج٢ ص٥ طبعة حامد فقى رحمه الله .



Made With Pdf Office

والحال الثالث اثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الابانة التي صنفها آخراً .

وبهذه النقول عن هؤلاء الأعلام ثبت ثبوتاً لا شك فيه ولا مرية أن أبا الحسن الأشعري استقر أمره أخيراً بعد أن كان معتزلياً على عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم وسنة النبي عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم .

## كتاب الإبـــانة :

وبعد اتمام هذا الحديث حول رجوعه عن الاعتزال نقرأ بحثاً ثانياً في صحة نسبه « الابانة في أصول الديانة » اليه رداً على بعض الأغمار الذين زعموا أنها مدسوسة عليه — وهذا هو بيت القصيد فنقول : وبالله نستعين .

قال الحافظ بن عساكر في كتابه « تبيين كذب المفتري » ذكر ابن حزم الظاهري أن لأبي الحسن الأشعري خمسة وخمسين تصنيفاً ، ثم قال : ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف ، وبعد ذلك سردها فقال :

منها كتاب اللمع ، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سمّاه بكتاب « كشف الأسرار وهتك الأسرار » .

ومنها تفسيره المختزن ، وهو خمسمائة مجلد (١) — على ما يزعم — لم يترك فيه آية تعلق بها بدعى إلا أبطل تعلقه بها ، وجعلها حجة لأهل الحق ، وبيّن المجمل وشرح المشكل ونقض فيه ما حرفه الجبائي والبلخي في تفسيريهما ..

ومنها الفصول في الرد على الملحدين والخارجين على الملة كالفلاسفــة والطبائعيين والدهريين وأهل التشبيه .

---

(١) المجلد عندهم يطلق على الجزء المستقل وعلى كراس كبير او صغير . ( المجلة ).



Made With Pdf Office

ومنها مقالات المسلمين (١) استوعب فيه جميع اختلافهم ومقالاتهم وذكرها الحافظ بن عساكر بأسمائها وموضوعاتها في كتابه التبيين من صفحة ١٢٨ إلى صفحة ١٣٦ ، وقد اطلعت أنا الجامع لهذه الرسالة على ثلاثة من الكتب المذكورة وهي مطبوعة : اللمع ، والابانة ، والمقالات الاسلامية .

وقال ابن عساكر في صفحة ٢٨ من التبيين : وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة ، وبالاجادة والاصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة ، ومن وقف على كتابه المسمى بالابانة ، عرف موضعه من العلم والديانة .

ثم قال في صفحة ١٥٢ : فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد ، فلا بدّ أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ، ونتجنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة ، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة ، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سمّاه بالإبانة وذكر ما يأتي في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى :

ثم قال في صفحة ١٧١ في جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له :

لو لم يصنف عمره ... غير الابانة واللمع
لكفى فكيف وقد ... تفنن في العلوم بما جمع
مجموعة تربى على المتقـ ... ـين مما قد صنع
لم يأل في تصنيفها ... أخذاً بأحسن ما استمع
فهدى بها المسترشد ... ين ومن تصفحها انتفع

---

(١) وقد عقد في المقالات الاسلامية فصلا بعنوان : « حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة » قال في آخره « وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب • فراجعه ان شئت ج١ ص٣٢٠ •



Made With Pdf Office

تتـلى معاني كتبـه فوق المنابر في الجمع
ويخاف مـن افحامه أهل الكنائس والبيع
فهو الشجا في حلق مـن تـرك المحجة وابتدع

ومن عزا الابانة إلى أبي الحسن الأشعري ، الحافظ الكبير أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي الشافعي المتوفي سنة ٤٥٨ قال في كتاب ( الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ) في باب القول في القرآن صفحة ٣١ ، ذكر الشافعي رحمه الله ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألستنا ونسمعه بآذاننا ، ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عز وجل ، وان الله عز وجل كلم به عباده بأن أرسل به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمعناه ذكره أيضاً علي بن اسماعيل في كتاب الإبانـــة .

وقال في صفحة ٣٢ من الكتاب المذكور آنفاً : قال أبو الحسن علي بن اسماعيل في كتابه ، يعني الإبانة :

( فإن قال قائل : تقولون أن كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ ، قيل له نقول ذلك ، لأن الله قال « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم ، وهو متلو بالألسنة قال تعالى : ( لا تحرك به لسانك ) والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال تعالى : ( فأجره حتى يسمع كلام الله ) ثم قال في صفحة ٢٦ بعد سرد الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق :

وقد احتج علي بن اسماعيل الأشعري رحمه الله بهذه الفصول ا هـ من نسخة مخطوطة يرجع تاريخ خطها إلى سنة ١٠٨٦ هـ (١) .

ومن ذكر الإبانة وعزاها لأبي الحسن الأشعري الحافظ المعروف بالذهبي

---

(١) وهي محفوظة لدى الاخ اسماعيل الانصـــاري طبعت في مصر قريبا .



Made With Pdf Office

قال في كتابه « العلو للعلي للغفار » صفحة ٢٧٨ : قـال الأشعري في كتاب ( الابانة في أصول الديانة ) له في باب الاستوا .

فإن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟

قيل نقول إن الله مستوٍ على عرشه كما قال : ( الرحمن على العرش استوى ) إلى آخر ما في الإبانة .

ثم قال : وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ونسخه بخطه الامام محيي الدين النواوي .

وذكر الذهبي عن الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي أنه قال : قرأت في كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم بالإبانة أدلة على اثبات الاستواء . ونقل عن أبي علي الدقاق أنه سمع زاهر بن أحمد الفقيه يقول : مات الأشعري رحمه الله ورأسه في حجري فكان يقول شيئاً في حال نزعه . لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا ا هـ كلام الذهبي .

وممن نسبها إلى أبي الحسن الأشعري ابن فرحون المالكي قال في كتابه الديباج صفحة ١٩٣ : إلى ص ١٩٤ ولأبي الحسن الأشعري كتب منها كتاب اللمع الكبير ، وكتاب اللمع الصغير ، وكتاب الإبانة في أصول الديانة ا هـ .

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩ هـ .

قال في الجزء الثاني من كتابه ، « شذرات الذهب في أعيان من ذهب » صفحة ٣٠٣ ، قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « الإبانة في أصول الديانة وهو آخر كتاب صنفه . وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه ، ثم ذكر فصلاً كاملاً من الإبانة .

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري السيد مرتضى الزبيدي .



Made With Pdf Office

قال في ( اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين في الجزء الثاني صفحة ٢ قال : صنف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال ( الموجز ) وهو في ثلاث مجلدات ، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة ، ومقالات الاسلاميين ، وكتاب الإبانة .

وقد تقدمت الحكاية عن ابن كثير أن الإبانة هي آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري .

وممن ذكر أن الإبانة تأليف أبي الحسن الأشعري أبو القاسم عبد الملك ابن عيسى بن درباس الشافعي (١) قال في رسالته ( الذب عن أبي الحسن الأشعري ) : اعلموا معشر الاخوان أن كتاب الإبانة عن أصول الديانة ، الذي ألفه الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده وبه كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمن الله ولطفه ، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها .

وروى وأثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين .

وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهل يسوغ أن يقال : إنه رجع عن هذا إلى غيره فإلى ماذا يرجع أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ، ورواه عنهم ؟؟!! هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين وكيف بأئمة الدين ، أو هل يقال : إنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات ، هذا مما لا يتوهمه منصف ، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف ، وقد

---

(١) المتوفى سنة ٦٠٥ هـ .



Made With Pdf Office

ذكر الإبانة واعتمد عليها وأثبتها عن الإمام أبي الحسن الأشعري وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه ، ونقل منها إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم .

وذكر ابن درباس طائفة من الذين قدمنا ذكرهم وزاد الحافظ أبا العباس أحمد بن ثابت العراقي ، وذكر عنه أنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه: رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علو الله على العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري ، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه ، فقد قرأت في كتابه الموسوم بالإبانة عن أصول الديانة أدلة من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء ، ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن ابن أحمد الصابوني ذكر عنه أنه ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به ، ويقول ما الذي ينكر علي من هذا الكتاب شرح مذهبه ( هذا قول الامام أبي عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان ) .

ومنهم إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن ابراهيم الفارسي ذكر الإمام أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه ، فقال : وله كتاب في السنة سمّاه كتاب الإبانة صنفه ببغداد لما دخلها ، وذكر ابن درباس أنه وجد كتاب الإبانة في كتب أبي الفتح نصر المقدسي رحمه الله ببيت المقدس وقال : رأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولاً منها بخطه .

ومنهم الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه ، قال ابن درباس أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك ابن علي البغدادي ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة قال نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلي الشافعي أخرجها في مجلدة فنقلتها وعارضت بها وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها ويقول لله من صنفه ويناظر على ذلك من ينكره وذكر ذلك لي وشافهني به قال : هذا مذهبي وإليه أذهب نقلت هذا في سنة ٥٤٠ ه بمكة وهذا آخر ما نقلت من خط ابن الطباخ . وذكر فيمن عزاها



Made With Pdf Office

إلى أبي الحسن أبا محمد بن علي البغدادي نزيل مكة قال ابن درباس شاهدت نسخة من كتاب الابانة بخطه من أوله إلى آخره ، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي ونسخت منهـا نسخة ، وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الامام نصر المقدسي ببيت المقدس ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين افتراء إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس فأنكرها وجحدها وقال ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه واجتهد آخراً في أعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته فقال بعد تحريك لحيته لعله ألفها لما كان حشوياً ، قال ابن درباس فما دريت من أي أمريه أعجب أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في تصانيفه من العلماء أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه اليه ، واشتهاره قبل توبته من الاعتزال بين الأمة عالمها وجاهلها ، فإذا كانوا بحال من ينتمون إليه بهذه المثابة فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين وهم لا يلوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم وهم والله بذلك أجهل وأجهل كيف لا وقد قنع بعض من ينتمي منهم إلى أبي الحسن الأشعري بمجرد دعواه وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي رجع إليها واعتمد في تدينه عليها قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى ، وكان خلاف ذلك أحرى به وأولى لتستمر القاعدة وتصير الكلمة واحدة اهـ كلام ابن درباس رحمه الله .

وممن ذكر الإبانة ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، قال في الفتوى الحموية الكبرى صفحة ٧٠ : قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة وذكر ما في أو كتاب الإبانة بحروفه وسيأتي ذكره إن شاء الله قريباً .

وممن عزاها إلى أبي الحسن الأشعري شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفي



Made With Pdf Office

سنة ٧٥١ هـ قال في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية الطبعة الهندية صفحة ١١١ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة سلك طريق أهل السنة والحديث وانتسب إلى الامام أحمد بن حنبل كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالابانة والموجز والمقالات وغيرها . ثم قال ابن القيم : وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كالحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني متفقون على اثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين وعلى ابطال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلاً ، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين ولكن لاتباعه قولان في ذلك .

ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان : أولها في الإرشاد ورجع عن تأويلها في رسالته النظامية (١) وحرمه ، ونقل اجماع السلف على تحريمه وأنه ليس بواجب ولا جائز ، ثم ذكر ابن القيم قول أبي الحسن الأشعري امام الطائفة الأشعرية ، ثم قال : نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والابانة والمقالات .

وقال ابن القيم في قصيدته النونية التي سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية الطبعة المصرية صفحة ٦٨ :

والأشعري قال : تفسير استوى ... بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول اتبـ ... ـاع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قال ذا من موجز ... وإبانة ومقالة ببيان

وقال في صفحة ٦٩ من الكتاب المذكور آنفاً :

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان
اجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش بالإيضاح والبرهان

(١) راجع ص ٢٣ من النظامية مطبعة سنة ١٩٤٨ المعروفة بمطبعة الانوار بالقاهرة تجد ما ذكره ابن القيم من رجوع الجويني الى عقيدة السلف.



Made With Pdf Office

وأتى هناك بما شفى أهل الهدى لكنه مرض على العميان
وكذا علي الأشعري فإنه في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقالة ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو ق العرش بالإيضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التقر ير فانظر كتبه بعيان

قلت: هذه نقول الأئمة الأعلام التي تضمنت بالصراحة التي لا يتناطح عليها عنزان ولا يمتري فيها اثنان : ان كتاب الابانة ليس مدسوساً على أبي الحسن الأشعري كما زعمه بعض الأغمار من المقلدة بل هو من تواليفه التي ألفها أخيراً واستقر أمره على ما فيها من عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبويـــة .

وبعد هذا رغبت أن أتحف القارئ بقطعة من عقيدة هذا الامام التي رجع إليها وذكرها في إبانته ، أذكرها بفصها ونصها ليظهر كل منصف قرأها بفهم أن أبا الحسن الأشعري تاب من التعطيل والتأويل كما أنه ليس بممثل بل هو مثبت ومعتقد كل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه أو أخبر به عنه نبيه عليه الصلاة والسلام من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل .

فأقول قال أبو الحسن الأشعري في إبانته (باب في إبانة قول أهل الحق والسنـــة ) :

فإن قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون

قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا عليه السلام ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ،



Made With Pdf Office

لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم مفخم .

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً .

وان الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها .

وأن الله يبعث من في القبور ، وان الله مستو على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) .

وأن له وجهاً كما قال : ( ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) .

وأن له يدين بلا كيف كما قال : ( لما خلقت بيدي ) وكما قال ( بل يداه مبسوطتان ) .

وأن له عينين بلا كيف كما قال : ( تجري بأعيننا ) .

وأن من زعم أن اسماء الله غيره كان ضالاً .

وأن لله علماً كما قال : ( أنزله بعلمه ) وكما قال ( وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ) .

ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج .

ونثبت أن لله قوة كما قال : ( أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ( ونقول ان كلام الله غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن كما قال ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) .

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله .



Made With Pdf Office

وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ولا يستغني عن الله ولا يقدر على الخروج عن علم الله عز وجل ، وأنه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة كما قال : ( والله خلقكم وما تعملون ) وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يُخلقون كما قال : ( هل من خالق غير الله ) وكما قال ( لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ) وكما قال ( أفمن يخلق كمن لا يخلق ) وكما قال ( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ) وهذا في كتاب الله كثير ، وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر لهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالآيات ، كزعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين .

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم وطبع على قلوبهم .

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، وانا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وان ما أصابنا لم يكن ليخطئنا .

وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا بالله كما قال عز وجل .

ونلجأ في أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه .

ونقول إن كلام الله غير مخلوق ، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقول : إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال عز وجل « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » .

وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا ، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا .



Made With Pdf Office

وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون .

ونقول إن كل من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها كان كافراً .

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً .

وندين الله عز وجل بأنه يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل .

وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة .

ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين .

ونقول إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار بعد ان امتحشوا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تصديقاً لما جاءت به الروايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونؤمن بعذاب القبر ، وبالحوض .

وأن الميزان حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين .

وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه عليه السلام ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين ،



Made With Pdf Office

ونقول أن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه .

وإن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسموه جميعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن الذين قاتلوه ، قاتلوه ظلماً وعدواناً .

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عمّا شجر بينهم .

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم .

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وان الرب عز وجل يقول هل من سائل ، هل من مستغفر ، وبسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل ، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه : ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ، ولا نقول على الله ما لا نعلم .

ونقول إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال ( وجاء ربك والملك صفاً صفاً ) .

وان الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال ( ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ) وكما قال ( ثم (١) دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ) .

---

(١) الضمائر في هذه الآية من سورة النجم عائدة على جبريل عليه السلام .



Made With Pdf Office

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره . كما روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج .

وان المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك . ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة .

وندين بإنكار الخروج بالسيف وترك القتال في الفتنة ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونؤمن بعذاب القبر ونكير ومنكر ومسائلتهما المدفونين بقبورهم . ونصدق بحديث المعراج .

ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيراً .

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم : ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك ، ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا .

وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم .

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل ، وأن الأرزاق من قبل الله يرزقها عباده حلالاً وحراماً وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويسلكه ويتخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل ( الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ) وكما قال ( من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور النزس من الجنة والناس ) .

ونقول ان الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم . وقولنا في أطفال المشركين ان الله يؤجج لهم في الآخرة ناراً ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية . وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلى



Made With Pdf Office

ما هم صائرون وما كان وما يكون ومالا يكون ان لو كان كيف كان يكون ، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين ، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعته ومجانبة أهل الهوى » انتهى بحروفه .

هذا مجمل عقيدة الامام أبي الحسن الأشعري التي استقر أمره عليها بعد أن أقام على مذهب الاعتزال أربعين عاماً . ذكره في أول كتابه الإبانة وفصله باباً باباً فراجعها إن شئت تجد ما يشفي ويكفي .

فتأمل أيها الأخ المنصف هذه العقيدة ما أوضحها وأبينها واعترف بفضل هذا الامام العالم الذي شرحها وبينها وانظر سهولة لفظها فما أفصحه وأحسنه . وكن ممن قال الله فيهم ( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) وتبين فضل أبي الحسن الأشعري واعرف انصافه واسمع وصفه للإمام أحمد بن حنبل با لفضل لتعلم أنهما كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين .

ولعمري ان هذه العقيدة ينبغي لكل مسلم أن يعتقدها ولا يخرج عن شيء منها إلا من في قلبه غش ونكد .

نسأل الله تعالى الثبات عليها ونستودعها عند من لا تضيع عنده وديعة . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد معلم الخيرات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجزى فيه الحسنات .



Made With Pdf Office